
ملف القضية

« القضية ... القضية ... القضية »

تعب المذيع ... والتلفاز ... والجمهور ملّ المسرحية
أصبحت اصواتنا أعلى دويّاً من رصاص البندقية
والقرارات التي امتلأت بها كل ملفات القضية
أصبحت يرشام أوجاع البلاد الداخلية
كل حكم كاد يسقط أسند ظهره فوق القضية
كل من جاء الى السلطة قهراً قال : من أجل القضية
كل من شيّد سجناً زج فيه الابرياء يقول : من أجل القضية
كل من قتل بريئاً قال : قد خان القضية
أصبح القتل يمثل كل صور النرجسية
والرصاص موجّه لصدور أصحاب القضية

يسألونك ما القضية ؟
لست أدري ... غير أنني
عندما كنت صغيراً قيل أن جنودنا يتحاربون مع اليهود
لم أكن أعرف وعد « بلفور » ولا أي وعود
لم نكن نعرف حرمان اليتامى أو هراوات الجنود
لم أكن أعلم قصة التقسيم بعد الحرب أو معنى الحدود
كنت طفلاً ... كل هم الطفل أن يأتي أبوه بالهدايا كل عيد
بعضنا قد كان يقضي معظم العام وحيد
قد تعود أن تناديه : تعال ... أبني الشهيد
عندما صرت صبياً
في بلاد العربية
وقرأت سيرة الأبطال من ألف ... إلى ياء الحروف الأبجدية
والفتوحات العظيمة ... والحروب الجاهلية
صرت أعرف ما القضية
قصة الشعب المشرّد في فلسطين الضحية
صرت أؤمن أننا منذ البداية ... قد تطول بنا البقية
وأنظرنا ربع قرن بل وأكثر

والقضية مثل أعمى ... في خطاه يتعثر
كل عام يصبح الدرب خطيراً ... والذي في الدرب أخطر
وبلاد لم تكن تعرف ما التحرير ... بدأت تتحرر
كل خريطة في الأرض ... موقعها تغير
والقضية كل يوم في حساب النصر تخسر
أصبحت لغزاً سياسياً ... ورمزاً لا يفسر
يسألونك ما القضية

انها صوت الاذاعات التي تعوي صباحا ومساء
والدواوين التي ملأت مكاتبنا ... باسم الشعراء
والبيانات التي تصدر في كل لقاء
والمواثيق التي تحظى بعطف الرؤساء
والحدود التي خططها كل الخبراء
والرسومات التي ظلت معلقة شواهد فوق كل الواجهات
والبنادق ... والمدافع عند شرم الشيخ والعقبة في كل الجهات
وبقايا بعض أحلام قدامى الجنرالات
يسبحون مع الخيال
أحدهم كان عريفا ثم اصبح فجأة في رتبة مارشال

يحلم ان تُبنى له في الساحة .. يوما ... تمثال
كان قائد رقعة تمتد في حجم المحيط
فاصبحت كوم رمال
وازداد عدد اللاجئيين تسربوا كالنمل من قلب التلال
ضاقت بهم كل الخيام فشيّدوا أخرى على قمم الجبال
راح عشرات الضحايا من ملوك ورجال
وأنتهى الجيل الذي بدأ النضال ومات في نار النضال
ترك الرسالة في يد الجيل الذي لمعاش يوما في اراضيه القديمة
رأى منازل أهله مرسومة في الخرط في صور أليمة
ورأى الحجارة ... والسقوف وبعض آثار الجريمة
ولم يرث غير القضية والأرادة والعزيمة
جاء يحمل شارة النصر تقطّي كل واجهة الهزيمة
سقط القناع عن الوجوه وظهر عشاق الوليمة
جاء جيل ... جيل بعث يحمل الموت هدية
ليس بين عتاده قلم وأوراق ... وفلسفة الوصية
نبذ كل القادة المتسولين لدى المحافظ باسم اصحاب القضية
طرد كل متاجر بالأرض ... كل مزود يعلو المنصة للتحية

لم ينم يوماً على كيس من الرمل
ولم تقبض أصابعه زناد البندقية
يسألونك ما القضية ؟
قل إذا انتهت القضية
سوف يبقى كل شيء في بلاد العرب ثابت
والضفادع قد تكف عن النقيق ويصبح المذيع صامت
والبيانات التي تخترق طبل الاذن سوف يكون صداها خافت
قل إذا انتهت القضية
سوف تبقى بلا هوية
قل لهم قد ضاعت الارض
وضاعت في الملفات القديمة كل أوراق القضية
لن يعيد الأرض ... غير المدفع الداوي وصوت البندقية
لندن / حزيران ٧٧